

أَمَّا بَعْدُ ، فَأَوْصِيكُمْ أَئُهَا النَّاسُ وَنَفْسِي
بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَائِزُونَ "

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، مَا زَالَتْ نِعْمُ اللَّهِ تَعَالَى
عَلَى عِبَادِهِ تَتَوَالَى ، بِمَا سَخَّرَهُ لَهُمْ مِنْ
مَصْنُوعَاتٍ وَمُخْتَرَعَاتٍ ، تَخْرُجُ فِي كُلِّ
زَمَانٍ تِبَاعًا ، وَتَتَجَدَّدُ فِي كُلِّ عَصْرِ بِمَا لَمْ
يَكُنْ فِي الَّذِي قَبْلَهُ ، يَخْلُقُ اللَّهُ مِنْهَا

بِقُدْرَتِهِ مَا يُدْهِشُ مَنْ شَهِدَهَا وَعَايَشَهَا ،
فَيَسْتَعْمِلُهَا وَيَسْتَفِيدُ مِنْهَا وَيَسْتَمْتَعُ بِهَا ،
مَعَ عَجْزِهِ عَنِ تَصَوُّرِهَا تَصَوُّرًا كَامِلًا ،
أَجْهَزَةً وَوَسَائِلُ وَبَرَامِجُ ، لَوْ خَرَجَ بَعْضُ
مَنْ عَاشُوا قَبْلَ عِقْدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ وَرَأَوْهَا ،
لَظَنُّوا أَنَّهَا ضَرْبٌ مِنَ التَّخْيِيلِ ، أَوْ نَوْعٌ
مِنَ السِّحْرِ وَالْأَبَاطِيلِ ، وَمِنْ تِلْكَ النِّعَمِ
الَّتِي ظَهَرَتْ فِي أَزْمِنَتِنَا الْمُتَأَخِّرَةِ ، وَأُتِيحَ
فِيهَا مِنَ الْخِدْمَاتِ مَا تَيَسَّرَتْ بِهِ لَنَا كَثِيرٌ

مِنَ الْأُمُورِ ، هَذِهِ الْأَجْهَزَةُ وَالتَّقْنِيَّاتُ ،
الَّتِي يَحْمِلُهَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بَيْنَ يَدَيْهِ غَادِيًا
وَرَائِحًا ، وَينْقُلُهَا مَعَهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ حَلٍّ
فِيهِ ، يَقْضِي بِهَا حَاجَاتٍ وَيُحْصِلُ بِسَبَبِهَا
أُمُورًا ، مَا كَانَ لِلْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ أَنْ
يُحْصِلُوهَا وَيَبْلُغُوهَا إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ،
لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَخَّرَهَا لَنَا فِي هَذِهِ
الْعُصُورِ الْمُتَأَخِّرَةِ ، تَفَضُّلاً مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا
وَتَكْرُمًا . وَمِنْ أَحْدَثِ هَذِهِ التَّقْنِيَّاتِ مَا

سُمِّيَ بِالذِّكَاةِ الاصْطِنَاعِيِّ ، وَهُوَ بَرَامِجُ
تُوجَدُ فِي الْجَوَّالَاتِ وَالْحَاسِبَاتِ
وَالشَّبَكَاتِ ، هِيَئَتِ لِتُخَاطَبَ الْإِنْسَانَ
وَكَأَنَّمَا شَخْصٌ آخَرُ لَهُ عَقْلٌ وَتَفَكِيرٌ
وَتَدْبِيرٌ ، وَلِذَا فَهِيَ تُجِيبُ عَنْ أَسْئَلَتِهِ ،
وَتَكْتُبُ لَهُ مَا يَطْلُبُهُ ، أَوْ تُكْمِلُ لَهُ مَا
يُعْلِي عَلَيْهَا بَعْضُهُ ، وَكَأَنَّمَا قَدْ شَارَكَتُهُ مَا
يُفَكِّرُ فِيهِ ، وَتَرْسُمُ لَهُ مَا يَتَخَيَّلُ ،
وَتُخَطِّطُ مَا قَدْ يَصْعُبُ عَلَيْهِ تَصَوُّرُهُ ،

وَتَحُلُّ لَهُ مَسَائِلَ عَوِيصَةٍ وَمُشْكِلَاتٍ فِي
ثَوَانٍ مَعْدُودَاتٍ ، بَلْ وَقَدْ تُخَاطِبُهُ
بِالصَّوْتِ كَمَا يُخَاطِبُهُ إِنْسَانٌ آخَرُ ، وَإِنَّهَا
لِنِعْمَةٍ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ
عَلَّمَهُمْ مَا لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ ، وَسَخَّرَ لَهُمْ
مَا لَمْ يَخْطُرُ لَهُمْ عَلَى بَالٍ ، وَخَلَقَ لَهُمْ
أَشْيَاءَ لَمْ تُعْهَدْ فِيمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأَجْيَالِ
؛ غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْمُخْتَرَعَاتِ وَإِنْ كَانَ اللَّهُ
قَدْ مَنَّ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ مَدًّا مِنْهُ وَإِنْعَامًا ،

فَإِنَّهَا أَيْضًا تَكُونُ مِنْهُ تَعَالَى لَهُمْ اخْتِبَارًا
وَابْتِلَاءً وَامْتِحَانًا ، وَمِنْ حُسْنِ حَظِّ
الْإِنْسَانِ وَتَمَامِ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ ، أَنْ
يَسْتَعْمِلَهَا فِيمَا يَنْفَعُهُ وَيَرْفَعُهُ ، وَيُخَفِّفُ
عَلَيْهِ الْمَشَقَّةَ وَيُرِيحُهُ مِنَ الْعَنَاءِ ، وَفِيمَا
يُسِّرُّ عَلَيْهِ وَيُسْعِدُهُ وَيَسِّرُهُ ، وَإِلَّا كَانَتْ
وَبَالًا عَلَيْهِ وَشَرًّا لَهُ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ ،
وَخَسَارَةً فِي عَاجِلِ أَمْرِهِ وَآجِلِهِ ، قَالَ
تَعَالَى : " وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ " أَجَلُ أَيُّهَا
الْمُسْلِمُونَ ، إِنَّ هَذَا الذِّكَاةَ الاصْطِنَاعِيَّ
لَيْسَ مِمَّا يُفْرَحُ بِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، أَوْ
يُمَدِّحُ مَنْ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ أُمُورِهِ ، وَلَا
هُوَ مَذْمُومًا مُحْذَرًا مِنْهُ لِذَاتِهِ ، بَلْ هُوَ
كَغَيْرِهِ مِنَ الْوَسَائِلِ ، لَهُ أَحْكَامُ الْمَقَاصِدِ
، وَيُحْكَمُ عَلَيْهِ بِحَسَبِ اسْتِخْدَامِهِ ، فَمَنْ
اسْتَثْمَرَهُ فِيمَا يُرْضِي اللَّهَ وَيَخْدُمُ دِينَهُ
وَمُجْتَمَعَهُ وَوَطَنَهُ وَإِخْوَانَهُ الْمُسْلِمِينَ ، فَهُوَ

عَلَى حَظِّهِ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ وَحُسْنِ
الذِّكْرِ ، وَمَنْ اسْتَغْلَهُ فِيمَا يُغْضِبُ الرَّبَّ
أَوْ يُؤْذِي الْخَلْقَ ، فَهُوَ حَظُّهُ مِنَ الذُّنُوبِ
الْمُتْرَاكِمَةِ وَالسَّيِّئَاتِ الْمُتَتَالِيَةِ . وَإِنَّهُ فِي
الْحَيْنِ الَّذِي اسْتَفَادَ مُوَفَّقُونَ مِنْ هَذِهِ
التَّقْنِيَّاتِ ، فَسَخَّرَهَا بَعْضُهُمْ لِنَفْعِ النَّاسِ
عِلْمِيًّا وَاقْتِصَادِيًّا وَصِحِيًّا وَاجْتِمَاعِيًّا ،
وَاسْتَثْمَرَهَا آخَرُونَ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ
وَتَوْعِيَةِ النَّاسِ وَنَشْرِ الْعِلْمِ وَبَثِّ الْفِقْهِ فِي

الدِّينِ ، فَكَسِبُوا بِهَا الْحَسَنَاتِ
وَتَضَاعَفَتْ لَهُمُ الْأُجُورُ بِحَسَبِ سَلَامَةِ
الْمَقَاصِدِ وَحُسْنِ النِّيَّاتِ ، فَإِنَّ ثَمَّ مَنْ
اسْتَغْلَلَهَا لِتُسَهِّلَ لَهُ مَا حَرَّمَ الشَّرِيعَةُ
وَنَهَتْ عَنْهُ ، مِنَ الْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ
وَالْتَّرْوِيرِ ، وَالْإِفْتِرَاءِ وَالْخِدَاعِ بِالتَّصْوِيرِ ،
فَنَالَ بِذَلِكَ الذُّنُوبَ وَالْخَطَايَا وَتَحَمَّلَ
الْأَوْزَارَ وَالسَّيِّئَاتِ . وَقَدْ ظَهَرَ الْجَانِبُ
الْمُظْلَمُ مِنْ تِلْكَ الْبَرَامِجِ فِي تَزْيِيفِ صُورِ

وَتَرْكِيبِ مَقَاطِعِ صَوْتِيَّةٍ وَمَرِيَّةٍ ، وَانْتِحَالِ
شَخَصِيَّاتٍ وَجَعَلِهَا تَتَكَلَّمُ بِمَا لَيْسَ حَقًّا
، وَكُلُّ ذَلِكَ لِقَلْبٍ الْحَقَائِقِ وَنَشْرِ
الْمَعْلُومَاتِ الْمُضِلَّةِ ، وَالْمِسَاسِ بِسُمْعَةِ
النَّاسِ دُولًا وَأَفْرَادًا ، وَهَتِكِ أَعْرَاضِهِمْ
وَالْإِضْرَارِ بِهِمْ وَهُمْ أَبْرِيَاءُ ، وَمِنْ أخطرِ
ذَلِكَ تَلْفِيقُ الْفَتَاوَى ، أَوْ إِخْرَاجُ بَعْضِ
الْعُلَمَاءِ أَوْ الدُّعَاةِ مُرَكَّبًا عَلَيْهِ كَلَامٌ لَيْسَ
لَهُ ، فَيَا لِلَّهِ مَا أعْظَمَ الْفِرْيَةَ وَأَكْبَرَ الذَّنْبَ

وَأَشْنَعَ الْجُرْمَ ، حِينَ يُنْشَرُ الْكَذِبُ وَالزُّورُ
وَالْبُهْتَانُ مُرَكَّبًا عَلَى عَالِمٍ أَوْ دَاعِيَةٍ أَوْ
مَسْئُولٍ ، وَيُظْهَرُ وَكَأَنَّهُ هُوَ الْمُتَكَلِّمُ ،
فَيَقُولُ مَا لَمْ يَقُلْهُ وَمَا لَا يَكُونُ لِمِثْلِهِ أَنْ
يَقُولَهُ ، وَأَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمَلْفِقُونَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ
تَعَالَى : " مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ
رَقِيبٌ عَتِيدٌ " وَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا : " وَلَا
تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ
وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ

مَسْئُولًا " أَلَا فَمَا أَحْرَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَّقِيَ
اللَّهَ وَيَشْعُرَ بِمَسْئُولِيَّةِ الْكَلِمَةِ مَكْتُوبَةً
مَقْرُوءَةً ، أَوْ مَقُولَةً مَسْمُوعَةً ، فَيَتَثَبَّتَ
فِيهَا وَيَتَبَيَّنَ مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَنْشُرَهَا ، وَلَا
يَسْتَخِفَّهُ كُلُّ جَاهِلٍ نَاعِقٍ ، أَوْ يَخْدَعَهُ كُلُّ
مُغْرِضٍ مُنَافِقٍ ، فَيُصَدِّقَ كُلَّ مَا يَرَاهُ
وَيَسْمَعُهُ وَيَنْشُرُهُ ، فَإِنَّهُ إِنْ تَسَاهَلَ وَصَارَ
ذَلِكَ دَيْدَنًا لَهُ ، كُتِبَ بِهِ مِنَ الْكَذَّابِينَ ،
وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْبُهْتَانِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ

المؤمنين ، قَالَ تَعَالَى : " وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ
المؤمنينَ والمؤمناتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ
احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا " وَقَالَ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ
يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ " رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَفِي
لَفْظٍ " كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا
سَمِعَ " وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "
مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللهُ
رَدْعَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يُخْرَجَ مِمَّا قَالَ وَلَيْسَ

بِخَارِجٍ " أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَصَحَّحَهُ
الْأَلْبَانِيُّ . اللَّهُمَّ احْفَظْ عَلَيْنَا أَسْمَاعَنَا
وَأَبْصَارَنَا ، وَوَفِّقْنَا وَاسْتُرْنَا ، وَجَمِّلْنَا
بِتَقْوَاكَ وَاكْتُبْ لَنَا رِضَاكَ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ وَلَا
تَعْصُوهُ ، وَرَاقِبُوهُ وَلَا تَغْفَلُوا وَتَنْسَوهُ "
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ "

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، إِنَّ هَذِهِ الْمُخْتَرَعَاتِ
وَأِنْ هِيَ تَكَاثَرَتْ وَتَقَدَّمَتْ ، وَتَتَابَعَ
خُرُوجُهَا فِي تَسَارُعٍ عَجِيبٍ وَنَمَطٍ غَرِيبٍ
، فَجَعَلَتْ بَعْضَ مَا كَانَ مُسْتَحِيلًا فِي
الْمَاضِي وَاقِعًا فِي الْحَاضِرِ ، وَحَوَّلَتْ بَعْضَ
أَحْلَامِ الْقُدَمَاءِ إِلَى حَقَائِقَ يَرَاهَا النَّاضِرُونَ
، بَلْ وَحَتَّى وَإِنْ هِيَ تَقَدَّمَتْ حَتَّى
أَدْهَشَتْ وَأَعْجَبَتْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ
مُسَوِّغًا لِأَنْ يَطْفَى الْإِنْسَانُ وَيَظُنَّ أَنَّه قَدْ

مَلَكُ الْكَوْنِ وَاسْتَحُوذَ عَلَى كُلِّ مَا فِيهِ
وَجَمِيعِ مَنْ فِيهِ ، فَمَا هَذِهِ الْمُخْتَرَعَاتُ
وَالْتَّقْنِيَّاتُ وَإِنْ بَلَغَتْ مَا بَلَغَتْ ، إِلَّا
جُزْءٌ مِمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ وَسَخَّرَهُ لِهَذَا الْإِنْسَانِ
وَمَكَّنَهُ مِنْهُ ، وَآيَةٌ مِنْ آيَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى
إِتْقَانِ صُنْعِهِ وَبَدِيعِ خَلْقِهِ ، وَأَنَّهُ تَعَالَى
الْحَقُّ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ ، قَالَ تَعَالَى : " صُنْعَ
اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا
تَفْعَلُونَ " وَقَالَ سُبْحَانَهُ : " سَنُرِيهِمْ

آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ
لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ " وَمَا عِلْمُ الْإِنْسَانِ وَإِنْ
زَادَ فِي جَنْبِ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَنُقْطَةِ صَغِيرَةٍ
فِي بَحْرِ خِضَمٍّ جُسِّيٍّ ، قَالَ سُبْحَانَهُ : " وَمَا
أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا " وَعَلَى هَذَا
فَإِنَّ مِنَ الْأُمُورِ الْخَطِيرَةِ عَلَى عَقِيدَةِ
الْمُسْلِمِ ، أَنْ يَنْخَدِعَ بِمَا يُسَمَّى بِالذِّكَاةِ
الْأَصْطِنَاعِيِّ وَيَتِمَادَى فِي الثِّقَةِ فِيهِ ،

حَتَّى يَسْأَلَهُ عَنْ أُمُورِ الْغَيْبِ وَمَا يُسْتَقْبَلُ
مِنْ أَحْدَاثٍ ، نَاسِيًا أَوْ مُتَنَاسِيًا قَوْلَ اللَّهِ
تَعَالَى : " قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ " وَقَوْلَ رَسُولِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ أَتَى عَرَّافًا
فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ
لَيْلَةً " رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ : " مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا
فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى

مُحَمَّدٌ " رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَهْلُ السُّنَنِ
وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ .